JOURNAL OF HUMANITARIAN AND APPLIED SCIENCES
ISSUE 14 – VOLUME 7
مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
العدد 14 - المجلد 7
ISSN: 2706-9087

(أدب الهزل عند الجاحظ)

أ. كميلة محمد محمود عبد الله

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم – قصر خيار/ جامعة المرقب

Abstract:

The topic of my research was addressed by the Arab writer Abu Othman Amr bin Bahr Al-Jahiz, who distinguished himself in the history of Arab artistic prose with his style, ideas, words, meanings, approach, and themes. Al-Abbasi, and the dispersal of humor in his books, but he singled out for him a wonderful book that is considered a rich and generous material for comic theatrical representation, which is the book (The Misers), which is full of rare artistic illustrations, and the research plan required that it be divided into a preface and four chapters, which dealt in the first chapter: Humor in literature The Arab until the era of Al-Jahiz, and included the second chapter: talking about the factors influencing the literature of humor at Al-Jahiz, and the third chapter: we tracked through it the themes of humor at Al-Jahiz, and the fourth: we devoted it to the study of irony in the literature of Al-Jahiz.

Keywords: Al-Jahiz, literature, humor, humor, irony.

ملخص البحث:

تناول موضوع بحثي الأديب العربي أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الذي تميّز في تاريخ النثر الفني العربي بأسلوبه وأفكاره وألفاظه ومعانيه ومنهجه وموضوعاته، ويُعدّ هذا نقطة تحوّل في تطوّر النثر الفني، وحفلت كتاباته بالتفاصيل النابضة بالحياة، والتعليقات الشخصية المفيدة التي تشكل سجلاً عنيفًا متنوعًا لحياة المجتمع العباسي، وتناثر الهزل في كتبه، ولكنّه أفرد له كتابًا رائعًا يُعدُّ مادة ثرية معطاءة للتمثيل المسرحي الهازل، وهو كتاب (البخلاء) الذي زخر بالتصويرات الفنية النادرة، واقتضت خُطّة البحث أن تكون مقسّمة إلى توطئة وأربعة فصول، تناولت في الفصل الأول: الهزل في الأدب العربي حتى عصر الجاحظ، وتضمّن الفصل الثاني: الحديث عن العوامل المؤثرة في أدب الهزل عند الجاحظ، والفصل الثالث: تتبعنا من خلاله موضوعات الهزل عند الجاحظ، أمّا الرابع: فخصّصناه لدراسة السُّخْرية في أدب الجاحظ.

الكلمات المفتاحية: الجاحظ، الأدب، الهزل، الفكاهة، السُّخرية.

المُقَدِّمَة:

لا تخلو المواقف اليومية في حياة البشر من نسمات الضحك ورياح القنوط، وإن كان هذا الضحك سرور ورضى، أو سخرية وازدراء، أو مزاحًا وطربًا، أو كان ضحك العجب والإعجاب، أو المفاجأة والدهشة، فالضاحك الساخر قد يضحك

ISSN: 2706-9087

من عيوب الناس؛ لأنّه يبحث عن تلك العيوب، ويستريح إليها ولا يتمنى خلاص أحد منها، وقد يضحك من تلك العيوب؛ لأنّه ينفس عن عاطفة لا يستريح إليها، وقد يضحك ليواجه مواقف الحياة ومشاكلها الصعبة، وكذلك كان (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) يعالج المشكلات بالضحك، ويجابه المواقف بالسُّخرية، ويواجه الخصوم بالهزء والاستخفاف، واتخذ طريق الهزل والإضحاك، وأحب من اتخذوه طريقًا لهم، وروى هزلهم في مواجهة المواقف التي اعترضتهم؛ لذلك تفنّن الجاحظ في الأجوبة المسكتة متخذًا الهزل اللاذع والفكاهة المرحة؛ ليدفع الكلل عن النفوس، ويخفف عبء الحياة الثقيلة.

ومن هنا أدّى أدب الهزل دوره في التعبير عن المضامين الإنسانية المختلفة، ولاستشراف هذه الزاوية، وقع اختيارنا على الموضوع بعنوان: (أدب الهزل عند الجاحظ)، وتأتي أهمية اختيار هذا الموضوع من كون أنّ الأدب العربي يحمل في طياته المضامين الجادّة التي تعبّر عن توترات الحياة وانفعالاتها المختلفة، ولكن هذا الأمر لا يمنع وجود مضامين هازلة في أدبنا تكون سبيلاً في التعامل مع مضامين الحياة المختلفة، إلاّ أنَّ هذا الهزل يمثّل التصاقًا بالحياة والتفاعل معها بالقدر نفسه الذي تمثّله المضامين الجادّة، كما أنّ هذا النوع من الأدب يحمل أهدافًا في مقدمتها الترويح عن النفس، ونقد الظواهر السياسية أو الاجتماعية وغيرها.

لقد اقتضى موضوع البحث أن نلجأ إلى خطة تضمنّت مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، تناول الفصل الأول: الهزل في الأدب العربي حتى عصر الجاحظ، ومفهوم الهزل لغةً واصطلاحًا، ومسيرته ابتداءً من الأجواء العابثة عند امرئ القيس، وشعر الخمرة في بعض مجالس المنادمة، وبعض الصور الساخرة التي حفل بها بعض شعراء الهجاء، فضلاً عن التذكير ببعض الصور التي تبعث السرور من خلال الشاعر عمر بن أبي ربيعة، ثم ذكرنا بعض الصور الساخرة في شعر النقائض عند جرير والفرزدق والأخطل، ثم انتقلنا إلى الفصل الثاني الذي تضمن الحديث عن العوامل المؤثرة في أدب الهزل عند الجاحظ، ومنها عوامل عامة: كبيئته الاجتماعية والفكرية، وعوامل خاصة كالوراثة، والمزاج، والطبع، والهيئة، أمّا الفصل الثالث فتتبعنا من خلاله موضوعات الهزل عند الجاحظ وانقسامه إلى الهزل المجرّد الذي تحدثنا فيه عن الضحك من أجل الترويح، والضحك من أجل الضحك، وأثر الضحك في النفس البشرية، ثم القسم الآخر وهو الهزل العقلي، وتضمن الجانب الفكري لأدب الهزل، ثم جاء الفصل الرابع والذي خصّصناه لدراسة السخرية في أدب الجاحظ، وقد بدأناه بتمهيد عن معنى السخرية، وأبرزنا فيه ألوانًا من السخرية تمثّلت في:

- السخرية من العيوب المظهرية.
- السخرية من المعلمين وبعض المفسّرين.
- السخرية من الخرافات والأباطيل.
- والسخرية من بعض الأشخاص، تناولنا خلالها أشهر رسائل الجاحظ الهزلية، وهي رسالة التربيع والتدوير.

وبانتهاء الفصل الرابع وصلنا إلى الخاتمة ونتائج البحث، ليبرز (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) إمامًا في فن الأدب الهازل، ورائدًا من روّاده.

ISSN: 2706-9087

الفصل الأول

الهزل في الأدب العربي حتى عصر الجاحظ

(الهزل لغةً: نقيض الجِدّ، وهزل يهزل هزلاً، وهزل الرجل في الأمر إذا لم يجدّ وهازلني). لسان العرب، لابن منظور، ج90/9، مادة: هزل

أمّا اصطلاحًا: (فهو مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مجون وسخف بنزاع الهمّة والهوى ... إلى غير ذلك).

منهاج البلغاء وسراج الأدباء، للقرطاجني، ص327.

ولو بحثنا في الأدب العربي نجد كثيرًا من النماذج الشعرية التي تتماشى مع هذا المفهوم، فقد حَفُل الأدب العربي شعرًا ونثرًا بمختلف المضامين الإنسانية التي قدمت دليلاً لا لبس فيه على تمسُّك الإنسان العربي بمختلف مناحي الحياة، واستلهام معطياتها وتأمل عناصرها، وباستطاعتنا أن نرى ذلك في (وقوف الأدباء على امتداد عصورهم أمام كل عنصر من عناصر الحياة، يستنطقونه ويبيّنون معالمه بما يمثّل التزامًا من قبل الأدباء في طرح مضامين روحية وفكرية متنوعة كانت في قوالب جادّة وهازلة).

أبوحيّان التوحيدي وموقفه من أدب الهزل، جمال عبد الحميد السوداني، ص157.

لقد ظهر أدب الهزل طريًّا التمس الأدباء من خلاله الشعور بحلاوة الحياة التي تخرجه من إطار الجِدّ إلى جوٍّ من المرح، الذي يروح الإنسان فيه عن نفسه، وقد ظهر ذلك واضحًا من خلال الشاعر امرئ القيس، الذي حفل شعره بصور ظريفة في وصفه وغزله اللاهي، إذ كانت تشبيهاته مثارًا للاستطراف ورسم الصور الحقيقية المرحة، يقول:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا معاَ ** عَقَرْتَ بَعِيري يَا امْرَأَ القَيْسِ فَانْزِلِ

فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ ** وَلاَ تُبْعِدِينِي مِنْ جَنَـاكِ المعَلّلِ

أَفَاطِمُ مَهْـلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ ** وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

ديوان امرئ القيس، حنا الفاخوري، ص34، 35، 37.

علاوةً على ذلك كان شعر الخمرة شاملاً لما هو هازل من خلال ما تشيعه من أجواء لاهية عابثة تخالف مضامين الجِدّ التي عُرفت عن الشعراء العرب، فلم تكن الحانات والخمارات أماكن لبيع الخمر، وإنّما كانت مكانًا يقدّم أسباب اللَّهْو والمجون، والعبث الساخر، يأتي عليه الشعراء فيتفنّنون في شربها ووصفها بأساليب ناعمة ومعانٍ طريفة، وكان الأعشى خير من يمثل ذلك، فقد قال فيها شعرًا رائعًا في أيام الجاهلية منه:

ISSN: 2706-9087

وَأَبْيَضَ مُخْتَلِطٍ بِالكِرَا ** مِ لاَ يَتَغَطَّى لإِنْفَادِهَا

أَتَانِي يُؤَامِرُنِي فِي الشَّمُو ** لِ، لَيْلاً فَقُلْتُ لَهُ: غَادِها

أَرَحْنَا نُبَاكِرُ حِدّ الصَّبُو ** حِ، قَبْلَ النُّفُوسِ وَحَسَّادِهَا

فَقُمْنا، وَلَمّا يَصِحْ دِيكُنَا ** إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَّادِها

تَنَخَّلَها مِنْ بِكارِ القِطَا ** فِ، أُزَيْرِقُ آمِنُ إِكْسَادِهَا

ديوان الأعشى، تح: فوزي عطوي، ص94، 95.

فضلاً عن ذلك عُرِفَتْ بعض الصور الساخرة التي حفل بها شعراء الهجاء، فقد اشتهر الحطيئة بالهجاء، فتمتع هذا الهجاء بالعمق في التهكم وإتقان الصور الهازلة، ولم يسلم أحد من هجائه حتى هجى نفسه، وها هو يهجو أُمّه فقال:

ديوان الحطيئة، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، 1998م، ص: 123.)

جَزَاكِ اللَّهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ ** وَلَقَّاكِ العُقُوقَ مِنَ البَنِينا

تَنَحّي فَاقْعُدي مِنّا بَعيدًا ** أَرَاحَ اللَّهُ مِنْكِ العَالَمِينا

أَغِرْبَالاً إِذَا اسْتَوْدعْتِ سِرّا ** وَكَانُونًا عَلَى المتَحَدِّثِينا

حَيَاتُكِ مَا عَلِمْتُ حَيَاةُ سُوءٍ ** وَمَوْتُكِ قَدْ يُسِرُّ الصَّالِحِينا

الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، ج311/1.

وفي العصر الأموي وجد أدب هازل تجلّى من خلال الغزل الصريح الذي تقاسمه بعض الشعراء الذين جمعهم مزاج مشترك لخلق المؤانسة بينهم؛ إذ اتسع هذا اللون من الشعر الهازل على يد عمر بن أبي ربيعة بالحجاز، من خلال قصائده المفعمة بالمغامرات اللاّهية والعابثة، كقصيدته الرائية التي اشتهر بها والتي تمثل روحه الخفيفة وشاعريته الفذّة في اختيار الألفاظ السهلة، وقد نظمها على طريقته القصصيّة بدأها بذكر صاحبته:

اَمِنْ آَلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ ** غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجَّرُ

لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا ** فَتُبْلِغُ عُذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْذِرُ

ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص181.

كل ذلك أحدث طرافة في غزله؛ إذ جعله يتصل مباشرةً بالمرأة المتحضّرة ويروي مغامراته معها، وبذلك يتضح أنّه سلك طريقًا جديدًا لم يسلكه الإسلاميون من قبل.

ISSN: 2706-9087

يراجع: أدب العرب في صدر الإسلام، د. حسين إبراهيم الحاج، ص204.

ولم يخلُ فن النقائض الذي جرى بين جرير، والفرزدق، والأخطل من بعض المناحي الهازلة التي جاوزوا فيها الحدود المتداولة في الهجاء، بعد أن اعتمدوا بعض الألفاظ السَّاقِطة، وبعض المعاني السُّوقيّة لرسم الصور الساخرة؛ كي يظهر كل منهم ضالة صاحبه وينال منه، ويُضحك الآخرين عليه، منها قول جرير في هجاء الأخطل:

إِنَّ الأَخَيْطِلَ خِنْزِيرُ أَطَافَ بِهِ ** إِحْدَى الدَّوَاهِي الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ

قَادُوا إِلَيْكُمْ صُدُورَ الْخَيْلِ مَعْلَمَةٌ ** تَغْشَى الطِّعَانَ وَفِي أَعْطَافِها زَوَرُ

كَانَتْ وَقَائِعُ قُلْنَا: لَنْ تُرَى أَبَداً ** مِنْ تَغْلِبٍ بَعْدَها عَيْنٌ وَلاَ أَثَرُ

حَتَّى سَمِعْتُ بِخِنْزِيرٍ ضَغَا جَزَعَاً ** مِنْهم فَقُلْتُ: أَرَى الأَمْوَاتَ قَدْ نُشِروا

ديوان جرير، شرح محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص260.

فردّ عليه الأخطل بنقيضةٍ تماثلها في السُّخرية منها:

بِئْسَ الصُّحَاةُ وَبِئْسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُم ** إِذَا جَرَى فِيهِم المِرَاءُ والسُّكْرُ

قَوْمٌ تَنَاهَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ مُخْزِيَةٍ ** وَكُلُّ فَاحِشَةٍ سُبَّتْ بِهَا مُضَرُ

عَلَى العِبَاراتِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ ** نَجْرَان أَوْ حُدِّثَتْ سَوْءَاتِهِمْ هَجَرُ

الآَكِلُونَ خَبِيثَ الزَّادِ وَحْدَهُمُ ** وَالسَّائِلُونَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الْخَبَرُ

ديوان الأخطل، شرحه وقدّم له: مهدي محمد ناصر الدين، ص109.

وفي العصر العبَاسي ازدهر أدب الهزل ازدهارًا كبيرًا، وظهر ما يعرف بالشعر الفُكاهي، ولسنا نقصد بالشعر الفُكاهي هنا بعض صور الهجاء، وإنّما هو ما كانت تجود به قرائح الشعراء في مواقف بعينها، فبرز ضمن هذا الإطار شخصية أبي دلامة التي كانت تطلق النوادر اعتمادًا على بديهة حاضرة لخلق روح الطُرف والمدح، كما أنّه كان نديمًا للخلفاء يطرفهم بنوادره، وله نوادر كثيرة ترويها كتب الأدب، ومن ذلك أنّه:

(دخل على المهدي وعنده جماعة من الأشراف من بني هاشم والوزير محمد بن الجهم، فقال المهدي لأبي دلامة: والله لا تبرح مكانك حتى تهجوا أحدًا ممّن هنا، وإلاّ قطعتُ لِسانك، أو ضربت عنقك، فنظر إليه القوم، وكلما نظر إلى واحدٍ منهم غمزه بأنّ علي رضاك، فقال أبو دلامة: فعلمت أني وقعتُ ولم أرَ أحدًا أحق بالهجاء مني ولا أدّعي إلاّ السلامة من هجاء نفسي فقلت:

أَلاَ أَبْلَغُ لَدَيْكَ أَبَا دُلاَمَةَ ** فَلَيْسَ مِنَ الكِرَامِ وَلاَ كَرَامَة

ISSN: 2706-9087

إِذَا لَبِسَ الْعِمَامَةَ كَانَ قِرْدًا ** وَخِنْزِيرًا إِذَا وَضَعَ الْعِمَامَة

جَمَعْتَ دَمَامةً وَجَمَعْتَ لُؤْمًا ** كَذَاكَ اللّؤْمُ تَتْبَعُهُ الدَّمَامَة

فَإِنْ تَكُ قَدْ أَصَبْتَ نَعِيمَ دُنْيا ** فَلاَ تَفْرَحْ فَقَدْ دَنَتِ القِيَامَة

فضحك القوم، ولم يبق أحدًا إلاّ أجازه).

العقد الفريد، لابن عبد ربّه، ج427/2.

كان لشعر ابن الرومي خاصةً في غرض الهجاء مرتبة عليا يفوق فيها على أقرانه، وليس عجيباً أن يفروا من الميدان خوفاً من لسانه السّليط، وهجاؤه نوعان: مضحك ساخر، وآخر مقنع فاحش، فيه هتك للأعراض، وقد اعتمد في هجائه الساخر عيوب المهجو الخلقية فاستغلّها وكبر حجمها طولاً وعرضاً، أو أنّه كان يمسخ الصور فيصورها حتى لكأنّك تقف أمام قزم يثير الضحك كما في تصويره بخل عيسى بن موسى وجعله يتنفس من منخرٍ واحد لشُحّه، يقول في ذلك:

يُقَتِّرُ عِيسَى عَلَى نَفْسِهِ ** وَلَيْسَ بِبَاقٍ وَلاَ خَالِدِ

فَلَوْ يَسْتَطِيعَ لِتَقْتِيرِهِ ** تَنَفّسَ مِنْ مِنْخَرٍ وَاحِدِ

عَذَرْنَاهُ أَيّامَ إِعْدَامهُ ** فَمَا عُذْرُ ذِي بَخْلٍ وَاجِدُ

رَضِيتُ لِتَفْرِيقِ أَمْوَالِهِ ** يَدَيْ وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

ديوان ابن الرُّومي، شرح: أحمد حسن بسج، ج412/1.

خلاصة ما مرّ يوضح بشكلٍ لا لبس فيه تعامل الشُّعراء مع المضامين الهازلة، والمضامين الطريفة، مبتعدين فيها عن كل جِدٍّ قد يبعث على التجهُّم والعبوس، كما أنّه في الوقت نفسه يقدم حقيقة مفادها أنّ الهزل – قبل الجاحظ – كان يأتي عفو الخاطر تارةً، ومقصودًا لغرضٍ من الأغراض السياسية تارةً أخرى، دون أن يقدم تفاصيل نابضة بالحياة تحليلاً، وتصويرًا، وتشخيصًا، ولم يقم بالتحليل النفسي الدقيق، أو يعتمد دقة الملاحظة إلاّ نادرًا، ولم يؤلف في الهزل والسُّخرية مثل الجاحظ، كتاب يرد نوادر المجتمع، ويتسلل إلى أعماقه ليظهر دخائله بنزعة فنية خالصة سوى محاولات بسيطة نذكر منها كتاب لصوص العرب لأبي عبيدة (ت: 211هـ).

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في أدب الهزل عند الجاحظ

خلق الجاحظ من الهزل فنًّا أدبيًّا مستوي القامة، وطيد الأركان، مرتفع البنيان، بقدرته على التصرف في فنونه، وتنويع أشكاله وضروبه، وكانت هناك مجموعة من العوامل التي خلقت من (أبي عثمان) رائدًا في الأدب الهازل.

ISSN: 2706-9087

أولاً– البيئة الاجتماعية:

نشأ الجاحظ نشأة بسيطة، غلب عليها القهر والبؤس وشظف العيش، ممّا اضطره إلى العمل من أجل لقمته، في سنٍّ مبكرة، وما كان هذا ليحول دون انصراف الفتى إلى الدراسة والتحصيل العلمي، فانكبَّ عليها انكبابًا منقطع النظير، كلما وجد الفرصة مواتية، والوقت ملائمًا، حتى إنّه كان يبيت في دكاكين الورّاقين ليلاً، فيطالع الكتب والأسفار، ويتردد على مجالس الأدباء، وحلقات العلماء نهارًا في المساجد والأندية، ممّا هيّأ له ذلك ثقافة واسعة، وتحصيلاً علميًّا مرموقًا، مكّنه من الخوض في المسائل الكلامية، والفقهية، والعقلية على اختلافها.

يراجع: مقدمة البخلاء، للجاحظ، تح: يحيى شامي، ص5 ، 6.

وقد تأثَّر إلى حدٍّ بعيد بأبي زيد القرشي، وأبي عبيدة، والأصمعي، والأخفش، وعُدَّ من رجالات العلم، وأعيان اللُّغة عامة، وإذا نظرنا إلى المجتمع الواسع والبيئة الرحبة – في الدولة العبّاسية آنذاك – وجدناها حافلة بكل شيء، فهي (مليئة بكل عجيب، مكتظّة بشتّى المتناقضات، فهناك السرف، والترف، والحرية البعيدة عن التزمُّت، القريب من الفوضى واطراح الحشمة ونبذ التّقاليد والتحلُّل من التّعاليم السَّامية، طربٌ، وغناء، وسمر، ورقص، واتخاذ النُّدباء، وعقد مجالس الأنس والفُكاهة).

السُّخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم محمد، ص26.

وبنظرةٍ فاحصة نجد شيوع ذلك عند الطبقة المترفة في المجتمع بخلاف السَّواد الأعظم من المجتمع العبّاسي، إلاَّ أنَّه يضطرب بالمفارقات ويموجُ بالتناقضات، فبجوار هذا المجون واللَّهو كانت المساجد عامرة بالعبادة والنُّسَاك، وأهل التقوى والصّلاح، وكانت في كل ركن منها حلقة للوعظ بذكر الله واليوم الآخر، ولعلّ هذا التباين في السُّلوك من شأنه أن يُعمِّق الملاحظة الدقيقة عند الأدباء ومنهم الجاحظ، لطبيعة سير المجتمع، وطبيعة تقسيمات أصحابه في ضوء معايير وقيم أخلاقية تنبع من ثقافة هذا المجتمع وعاداته، وتقاليده، واعتقاداته، والمؤثّرات العامة والخاصة فيه، وكانت من أثر ذلك وقف الجاحظ عند قواعد ينطلق منها هزله وسخريّته، تلك القواعد التي تفرق بين القبيح والمذموم الذي يسخر ويهزأ به، وبين ما هو مقبول لا يمكن الاعتراض عليه، وكل ذلك عينه عن كثب وانفعل بين الأول والثاني فإذا المجتمع عنده كلّه مُهيّأ للضّحك، والإضحاك، والتهكُّم، والسُّخرية.السخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم، ص27.

ثانيًا– البيئة الفكرية:

نشطت الحياة العقلية في المجتمع العباسي – آنذاك – فكانت المساجد أشبه بجامعات حرَّة يفد إليها الطلاب من كل حدبٍ وصوب، ناهلين ما يشاءون من العلوم اللُّغوية، والشَّرعية، والكلامية، وكانت تجاورها دكاكين الورّاقين الحافلة بكتب العلماء، وبالمترجم من كتب الأوائل، وثقافات اليونان والفرس، والهند، كما تعدّدت في عهد الجاحظ الفرق الدِّينية، وله فرقة تعرف باسمه وهي (الجاحظية)، وتعدّدت المدارس، ولكل مدرسة طابعها وطريقة تفكيرها، هذه الثقافات المتنوعة، والمدارس المتعدّدة، والفرق الدِّينية المتضاربة، والمذاهب، والنِّحَل، والطوائف المتباينة، كان من المحتمل أن تتعارك، وتتصارع، وينتصر كل فريق لرأيه، ومدرسته، ومذهبه، فيشيع الهجاء، وتنتشر السخرية، ويكثر الهمز واللَّمز بذلك (عرف الجاحظ مجتمعه وخبر

ISSN: 2706-9087

طوائفه، واعترك معها مرة بالعنف والقسوة ومرة باللِّين طورًا بالهجاء اللاَّذِع، والذمّ المقيت، وفي أغلب الأحيان بالسُّخرية المريرة، والتهكُّم المحض).

السخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم، ص29.

لقد نشأ في الكُتَّاب حتى كبرت سِنّه، ثم قصد شيوخ البصرة الذين ما يضيّعون فرصة الهزل وإن سنحت لهم، ويخلقونه خلقًا وإن لم يأتهم طوعًا، ومنهم (أبوعبيدة معمر بن المثنى)، وقد كان فكّه المجلس، مولعًا بالتعريض، والتلويح، والتهكُّم، والسخرية، ومنهم (إبراهيم بن يسار النّظّام) وكان مشهورًا بالدُّعابة والسُّخرية، وقد لازمه الجاحظ ملازمة شديدة تركت أثرها في صفحات عقله وجنبات نفسه، ومنهم أيضًا (ثمامة الأشرس)، وقد نقل عنه تلميذه الجاحظ كثيرًا من أدبه، كما كان أستاذًا له في المجون، والفُكاهة، والنّادرة اللاَّذِعة، وبذلك كانت لبيئة الجاحظ الفكرية أثرها الكبير في نمو السُّخرية عنده، وحدقه له وبراعته فيها.

ثالثًا– الوراثة:

المقصود بالوراثة جميع العوامل الموجودة في الكائن الحي في اللَّحظة التي تتم فيها عملية تلقيح الخلية الأنثوية بالخلية الذكرية، ويصعب الفصل بين الوراثة والبيئة؛ وذلك لأنَّ البيئة تعمل منذ اللحظة الأولى التي تعمل فيها الوراثة، ولا يمكن أن يظهر أثر الوراثة إلاّ في البيئة، فمظاهر الحياة في أي لحظة هي محصلة مجموعتي عوامل البيئة والوراثة.

ينظر: أسس الصحة النفسية، د. عبد العزيز القوصي، ص16 – 25.

ولهذا نلاحظ تأثر الجاحظ بهذين العاملين – البيئة والوراثة – في حياته وأدبه، أمَّا البيئة بنوعيها – الاجتماعية والفكرية – فقد تم الحديث عنها، وأمّا الوراثة تتلخص في كون الجاحظ (ورث تفكُّهه وهزله عن جدّه (فزارة) وأُمّه، فقد كان جدُّ الجاحظ أسودًا، وكان جمَّالاً لعمرو بن فلح الكناني، وقد كان الجدُّ فكهًا مرِحًا فسرت روحُ الخفّة إليه – إلى الحفيد – من الجدّ فزارة، كذلك أُمّه فقد كان فيها ميل واضح إلى السُّخْرية والهزل).

معجم الأدباء، لياقوت الحموي، ج16، 28.

إذًا فالميل إلى المرح، والفكاهة، والسُّخرية – لدى الجاحظ – يرجع في جانب منه إلى الوراثة، فميله الوراثي إلى السُّخرية جعله يلتقط النّوادِر، ويحفظ الطُّرف، ويستمع إلى الفُكاهات، ويُصغي إلى الأحاديث الهازلة، فتتسع مداركه، ويتفاعل مع ما يسمعه ويراه، فيولد الجديد، وينسج العجيب (فإذا هو ذلك الأديب الساخر، وإذا الدنيا كلّها تُقْبِل على كُتبه السّاخرة ورسائله الهازلة، لما نجد فيها من المتعة الذهنية، وأنماط الكتابة المبتدعة، خلط فيها الجِدُّ بالهزل، والعُبُوس بالضحك، والسُّخرية الماجنة بالسُّخرية الهادفة).السخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم، ص133.

ISSN: 2706-9087

رابعًا– مُزاحه وطبعه:

المزاح أو الطبع (هو مجموع الخصائص الفسيولوجية المؤثرة في الخلق، وهي الخصائص الناتجة عن مجموع إفرازات الغدد، وممّا بالدورة الدموية من خصائص ومركبات، ومن المميزات الطبيعية للمجموع العصبي نفسه، وهذه الصفات المزاجية التي تلوّن خلق الإنسان لها أساس جسماني تتحكم فيه الوراثة إلى حدٍّ بعيد).(أسس الصحة النفسية، د. عبد العزيز القوصي، ص23.)

إنّ واحدة من طرائق تبسيط وصف الشخصية هي حصر الصفات الشخصية في نماذج أساسية، حينئذٍ نستطيع وصف الشخص بنسبته إلى نموذج معيّن، فمنذ ألفي عام تقريبًا قام حكيم من حكماء الإغريق وهو (جالينوس) بوضع نظرية الأمزجة، وكان قد سبقه (إبقراط) في ذكر أمزجة الجسم الأربعة (البلغم – الدم – الصفراء – السوداء)، وهي نظرية تربط بين نوع الجسم ونوع الشخصية، فإذا ساد البلغم كان للإنسان بلغميًّا، فاتر الشعور، لا باليًا، وأمّا إذا ساد الدم كان الإنسان دمويًا، واتصف بالمرح والفعالية والحماس، وأمّا إذا سادت الصفراء كان الإنسان سريع الغضب والانفعال والتهيج، وأمّا إذا سادت السوداء كان الإنسان سوداويًا متشائمًا شاعرًا بالانقباض.

أسس الصحة النفسية، ص33، 34.

وقد عمد بعض العلماء فيما بعد إلى محاولة تقسيم الشخصيات البشرية إلى نماذج، ولعلّ من أشهر المحاولات العصرية، محاولة السويسري (كارل يونغ) الذي قال بوجود نموذجين أساسيين للشخصية، هما (الانبساطي والانطوائي)، أمّا الانبساطي: فهو إنسان يتجه بعيدًا عن نفسه نحو العالم الخارجي، في حين أنّ الانطوائي: ينظر إلى نفسه، ويجد أهم خبراته في ذاته.

يراجع: علم النفس، فاخر عقيل، ص704.

وفي ضوء هذا الطرح السيكولوجي، يمكن أن نصف شخصية الجاحظ طبقًا لنظرية (إبقراط) بأنّه دموي؛ إذ يتصف بالمرح، والفاعلية، والحماس، أو يصفه طبقاً لنظرية (يونغ) بأنّه انبساطي، فكلتا النظريتين تلتقيان في شخصية الجاحظ التي طبعت على المرح والفُكاهة، وخلقت مع روحه الخفّة والدعابة، والدليل على أنّ سخريته كانت عن فطرة وسجيّة طبعت فيه، إنّه كان يسخر من نفسه، ويروي سخريته مع الناس، وسخرية الناس منه دون غيض وحمق، قال ياقوت:

(حدثت أنّ الجاحظ قال: نسيت كنيتي ثلاثة أيام حتى أتيت أهلي: فقلت لهم بم أُكنَّى؟ فقالوا: بأبي عثمان).

معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج16 / 75.

خامسًا– هيئته:

كان الجاحظ قصير القامة، صغير الرأس، رقيق العنق، صغير الأذنين، أسود اللَّون، جاحظ العينين، مشوّه الخِلقة، قبيحًا ذميمًا، حتى إنّ بعضهم قال في ذلك:

ISSN: 2706-9087

لَو يُمْسَخُ الخِنْزِيرَ مَسْخًا ثَانِيًا ** مَا كَانَ إِلاَّ دُونَ قُبْحِ الجَاحِظِ

رَجَلٌ يَنُوبُ عَنِ الجَحِيمِ بِوَجْهِهِ ** وَهْوَ العَمَى فِي عَيْنِ كُلِّ مُلاَحِظِ

يراجع: مقدمة البخلاء، الجاحظ، ص6، 7.

إنّ لمنظر الإنسان وقوامه أثرًا في شخصيته، فالرجل الصحيح الجسم الحسن القامة قد لا يحتاج في إظهار شخصيته، والتأثير في غيره إلى ما يحتاجه الشخص النحيف الجسم، المشوّه الخِلقة، فبينما نجد الأول طبيعيًا، نجد الثاني يتخذ أحيانًا وسائل ثعلبانية، وقد يضطر إلى المداعبة في حديثه (فالإنسان حينما يحس بنقص من الناحية الجسمية مثلاً، نراه يعمل على أن يسد هذا الفراغ، ويكمل هذا النقص من الناحية العقلية أو الخلقية، حتى تظهر شخصيته للملأ).

في علم النفس، الأساتذة: حامد عبد القادر، محمد عطية الأبراشي، ظهر سعيد، ج2/ 289.

ومع ذلك فإنّ وراء هذه الهيئة وما تتضمنه من قُبحٍ وذمامة، يكمن ذكاء، وأيُّ ذكاء، إنّ وراء القبح في الشكل ظرفًا وخفة روح، وحبًّا للفكاهة، والحياة، وثقةً بالنفس، وعقلاً راجحًا، وإقبالاً على مُتع الحياة بما يُغني عن كل ذمامة، ويزري بكل جمال.

يروي لنا التاريخ الكثير ممّن سُلِبوا سماحة الوجه وجمال الخلقة، ولكنّهم عُرِفوا بالروح الفكهة والطبيعة الهازلة، فشيخ فلاسفة الإغريق (سقراط) كان قبيح المنظر؛ لأنّه قصير بدين، ذميم بارد العينين، كبير الأنف، واسع الفم، بالي الثياب، (ولقد كان التهكُّم من جلة أساليبه في تقرير فلسفته).

السَّخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم، ص 141.

كما كان بشار بن برد أعمى، مشوّه الخلقة من أثر جدري أصيب به، فصار قبيح المنظر، وقد ضرب المثل بقبحه وقبح الجاحظ، قال مخلد بن السلامي:

رَأَيْتُكَ لاَ تَجْلِبُ الوُدَّ إِلاَّ ** وَإِذَا كَانَ هُوَ مِنْ عَصَبٍ وَجِلْدِ

أَرَانِي اللَّهُ وَجْهَكَ جَاحِظِيًّا ** وَعِيْنَيْكَ عَيْنِ بَشّارِ بْنِ بُرْدِ

السخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم، ص141.

إلاَّ أنَّ بشَّارًا استطاع أن يتغلب على عقدة العمى وقبح المنظر بالفكاهة والسخرية التي عمد إليها في كثيرٍ من سلوكه.

ويعد رابيليه، وموليير، وفولتير، من أشهر من نبغ في السخرية في فرنسا، فملأت مؤلفاتهم الساخرة الآفاق، وكانوا ضعافًا لا يشكون إلاّ من السقم والاعتلال.

ISSN: 2706-9087

نستنتج من خلال ما مرّ جملةً من العوامل العامة أدّت دورها في صيانة شخصيته التي يعد الهزل عنصرًا فيها؛ ليستخدمه في تقرير كثير من الحقائق والأهداف الفكرية المتنوعة.

الفصل الثالث

موضوعات الهزل عند الجاحظ

أولاً– الهزل المجرّد:

يبدو أنّ التزام الجاحظ لأدب الهزل نابع من تصوّره بأنّ الحياة لا يمكن أن تسير بخط الجدّ فحسب، وإنّما هي مليئة بالمتاعب والمشقة، والهزل هو الذي يخفف ضغطها، ويحرر الإنسان من أثقالها ومتاعبها، وقد انبعث هذا الموقف من نفسه، وشكّل فكرة صوَّرت تعلُّقه بأدب الهزل فقال: (لابد لمن استكدّه الجد من الاستراحة إلى بعض الهزل).

البيان والتبيين، الجاحظ، ج222/2.

وهذه الدعوة أساسها معرفة حقيقة الهزل، والإحاطة بمكوناته، والوقوف على ثمراته وفوائده؛ إذ يجب على المتلقي الإفادة من أدب الهزل (مستراحًا، والراحة جمامًا، فإنّ للجدّ كدًّا يمنع من معاودته، ولابد لمن التمس نفعه من مراجعته).

البخلاء، الجاحظ، ص11.

وهذا يعني أنّ الجاحظ يفهم طبائع البشر وحسن فهمه لحقيقة النفس في بعض جوانبها؛ لأنّه بصير بميل الإنسان إلى التغيير والتنويع في حياته، والتنقّل من حالة إلى أخرى، لسأمه من الرتابة، ومن هنا فإنّ الترويح يجعل كد الروح يتحول إلى نشاط يبعث السرور في الأنفس.

وهذا الاعتقاد سار عليه الجاحظ نفسه حينما لاحظ ما للهزل من مزايا كثيرة، فأفرد له مساحة واسعة عمد فيها إلى الترويح عن النفس وإضحاك الألسن، فقد ذكرت مقدمة كتابه (البخلاء) أنّه يهدف إلى ثلاثة أمور هي: (تبيين حجّة طريفة، أو تعريف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة، والمتلقي في ضحك من ذلك إذا شاء، وفي لهوٍ إذا مللت الجدّ).

البخلاء، الجاحظ، ص16.

ولقد حرص الجاحظ على الهزل ليكون منشطًا للقلب، وجماعًا للقوة، لذلك رأيناه يعتني باختيار قوالبه اللُّغوية ودقة تحليله للظواهر مع كشفه عن خفايا الأفكار في ابتداع مستحسن ناقلاً القارئ من جدٍّ إلى هزل، من ذلك ما جاء في البيان والتبيين: (أنّ رجُلاً قال لأشعب: ما شكرت معروفي عندك، قال: لأنّ معروفك جاء من عند غير متحسب فوقع إلى غير شاكر).البيان والتبيين، الجاحظ، ج222/2.

ISSN: 2706-9087

نجد كلام الجاحظ حلوًا عذبًا مستملحًا، يُفرح القلب ويبدد اليأس عن النفس، وظهرت رغبته الملحّة جليّة في رسالته (الجِدُّ والهزل) التي بعث بها إلى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، وما تضمنتها من موضوعات تداخل في طياتها الهزل يقول: (ومتى ثقل الدرس تثاقلت النفس وتقاعست الطبيعة، ومتى دام الاستثقال أحدث الهجر).الرسائل، الجاحظ، ص339.

ويستمر الجاحظ في رسالته في عتاب ابن الزيات يسوقها في طرافة وعبقرية، كاشفًا القناع عن صاحبه في فنيةٍ عذبة، وأسلوبٍ مرح، وابتسامةٍ مضيئة، يقول: (فقد مت الآن فمع من تعيش؟ بل قد قتلتني فمن الآن تعاشر! ... ولكنّي أقول قد قتلتني فمع من تعيش؟ أمع الشطرنجيّين؟ فقد قال جالينوس: إيّاك والاستمتاع بشيءٍ لا يعُمّ نفعه).الرسائل، الجاحظ، ص345.

ولم يشأ الجاحظ أن يترك هذه الغاية الترويحية دون أن يقف عند الضحك المتولّد عنها، ويسحبه إلى ميدان الفلسفة، يلتمس أصوله وتأثيراته، فالضحك عند الجاحظ ظاهرة مهمة عند البشر جميعًا بوصفه غريزة لها مقومات الاشتراك الإنساني، ولكن بقدرٍ معين لا يزيد عن حدّه، فقال في هذا الموضوع: (وللمزح موضع وله مقدار متى جازها أحد، وقصّر عنهما أحد، صار الفاضل خطلاً، والتقصير نقصًا).البخلاء، الجاحظ، ص13.

كما قرر الجاحظ أنّ الضحك لابد له من جماعة تشترك في انفعالٍ واحد، وإن ضحك الإنسان وحده لا يكون على قدر مشاركة الأصحاب، ففي معرض حديثه عن حادثٍ تعرّض له وضحك منه مع محفوظ النقاش، يقول الجاحظ: (... فما ضحكت كضحكي تلك اللّيلة، ولقد أكلته جميعًا فما هضمه إلاّ الضحك والنشاط والسرور فيما أظن، ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به، لأتى على الضحك، أو لقضى عليَّ، ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب).البخلاء، الجاحظ، ص130.

لذلك اتّخذ الجاحظ من الضحك والابتسام طريقة لمواجهة المصاعب ومشكلات الحياة، فهو يدرك باللّين، والسخرية، والتهكُّم، والتعريض أكثر ممّا يناله غيره بالعنف والقسوة، فيزيل مشكلاته ويخفف عن نفسه عبء الحياة الثقيلة.

وهنا قدّم الجاحظ جهدًا في فلسفة الضحك، ومعرفة خباياها وما يحيط بها، ولعلّ هذا الضحك عند الجاحظ له آثاره وفوائده؛ لأنّه غريزة ذات قيمة للنفس والجسم، فالبكاء وحده يفسد الدماغ، وقد يورث العمى، ويقضي على صاحبه بالهلع، فالضحك يجعل صاحبه في غاية السرور إلى أن ينقطع عنه سببه، ولو كان الضحك قبيحًا من الضاحك، وقبيحًا من المضحك لما قيل للزهرة والحلي، والقصر المبني كأنّه يضحك ضحكًا، وقد قال جلّ ذكره: **(وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا)** سورة النجم، الآيتان (42، 43).

فوضع الضحك بجانب الحياة والبكاء بجانب الموت، وقد أثبتت الدراسات العلمية أنّ الضحك له تأثيره المتميز في صحة الإنسان، فقد تبيّن أنّه عندما نضحك فإنّ الدورة الدموية تنشط وتحرك الأوعية القريبة من الجلد فيقل ضغط الدم وتنشط العضلات، ومن الثابت علميًا أيضًا أنّ الضحكات تؤثر في كل عضوٍ من أعضاء الجسم، وتساعد على الاسترخاء وكأنّها تمارين بدنية نفسية للاسترخاء.

ISSN: 2706-9087

لهذا أوضح الجاحظ أهمية الضحك، وألحّ في إثبات فضله وبيان حسناته، وحرص عليه وأولع به، على أنّ ذلك يتم بمقدارٍ، وليس لحساب الهزل على حساب الجد، وبالعكس، ومن هنا يعود الجاحظ ليقدم لنا فكرة التوازن بين هذين العنصرين؛ لإحساسه أنّ الإنسان يتقلب بينهما على أقدارٍ متوازنة لا يتغلب أحدهما على الآخر، فقال في هذا الجانب: (لو استعمل النّاس الرصانة في كل مجال، والجدّ في كل مقال، لكان السّفهُ خيرًا لهم، ولكن لكل شيءٍ قدر، ولكل حال شكل، فالضحك في موضعه كالبكاء في موضعه).البخلاء، الجاحظ، ص16.

ثانيًا– الهزل العقلي:

يتحاور أدب الهزل مع الإنسان، منه ينطلق وإليه يتجه، وعليه غادر الجاحظ غايته الأولى إلى غايته الثانية، فاستوقفه الجانب الفكري فيه بما يطرحه من مضامين وأهداف (فإنّا سننشّطك ببعض البطالات، وبذكر العلل الظريفة والاحتجاجات الغريبة، فرُبّ شعر يبلغ بفرط غباوةِ صاحبه من السرور والضحك والاستطراف ما لا يبلغه حشد أحرّ النوادر وأجمع المعاني).

الحيوان، الجاحظ، ج65/3.

وفي ضوء ذلك يقرن الجاحظ أدب الهزل بغايةٍ ثانية تسعى إلى خلق الإدراك العقلي السليم لدى الإنسان عبر ذهن متّقد يرتفع بحواس الإنسان ومستواه السلوكي.

إنّ نظرة متعمقة لمصنّفات الجاحظ تؤكد أنّه جارى هذا المنهج بكل دقة، فحفلت كُتبه بكثيرٍ من أدب الهزل الذي يحقق للغايتين السابقتين، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك صراحةً عندما أعلن أنّ (جدّ القول يقدّمه المزاح).الرسائل، الجاحظ، ص456.

ومعنى ذلك أنّ أدب الهزل يعدّ دواءً يغسل أدران النفس، ويظهر عيوبها ويجعلها مؤهّلة لاستقبال الفضائل.

ولعلّ أبرز ما يمتاز به أدب الهزل تلك الواقعية التي ميّزته في التقاط الصور اليومية للحياة الواقعية، والتعبير عن أحداثها بصورةٍ موضوعيّة دقيقة لا نزوع فيها إلى الخيال أو التلوين.الحيوان، للجاحظ، ج3/ 343-346.

من ذلك قصة عبد الله بن سوار والذباب التي تحدّث عنها الجاحظ يقول: كان لنا بالبصرة قاضٍ يُقال له عبد الله بن سوار، لم ير الناس حاكمًا قط لا زمّيتًا ولا حليمًا ضبط من نفسه، وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك، كان يصلي الغداة في منزله، وهو قريب الدار من مسجده، فيأتي مجلسه فيختبئ – أي يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة – ولا يزال متنصبًا لا يتحرك له عضو حتى كأنّه بناء مبنى فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة المغرب، ثم يصلي العشاء وينصرف، فالحق يقال: لم يقم في طول تلك المدة الولاية مرّة واحدة إلى الوضوء ولا شرب ماء، وكأنّ شأنه في طول الأيام – فيما هو كذلك – ذات يومٍ وأصحابه حواليه؛ إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحوّل إلى عينيه وأوجعه وأحرقه فأطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباق والفتح فلما ضاق ذرعاً بالذباب حرّك يده ليستفزه وعيون القوم عليه ترمقه وقال: أشهد أنّ الذباب ألحّ من الخنفساء وأزهى من الغراب، وأستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله –

ISSN: 2706-9087

عزّ وجلّ – أن يعرّفه من ضعفه ما كان عنه مستورًا، فلقد غلبني وفضحني أضعف خلقه، ثم تلا قوله تعالى: **(وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)**. سورة الحج، الآية (73)

رسم الجاحظ هذا الأنموذج رسمًا واقعيًا ممزوجًا بإحساسه وشعوره، راسمًا حركته وهيئته، محيطًا بدقائق المعركة بين القاضي عبد الله بن سوار والذباب، فجاءت واقعيته التصويرية نابضة بالحياة، مصوّرة لخلجات نفسه.

وبعد ذلك أغرم الجاحظ في نقد السلوك الاجتماعي عندما التزم عالم البخل والبخلاء، وما ينطوي تحت هذا العالم الواسع موضّحًا السبب الذي دعاه إلى الاهتمام بهذا العالم قائلاً: (لم سمُّوا البخل صلاحًا، والشُحّ اقتصادًا، ولم حاموا على المنع ونسبوه إلى الحزم، ولم ذهبوا إلى المواساة وقرنوها بالتصنيع، ولم جعلوا الجود سرفًا، والأثرة جهلاً، ولم زهدوا في الحمد وقلّ احتفالهم بالذم).البخلاء، الجاحظ، ص11، 12.

فسار بعد ذلك في ذكر طرائفهم ونوادرهم، ويروي لنا صورة ساخرة لثمار: (كان غلامه إذا دخل الحانوت يحتال، فربما احتبس فأتهمه بأكل التمر، فسأله يومًا فأنكر، فدعا بقطنة بيضاء، ثم قال: امضغها فمضغها، فلما أخرجها وجد فيها حلاوة وصفرة قال: هذا دأبك، كل يوم وأنا لا أعلم! اخرج من داري).البخلاء، الجاحظ، ص89.

لقد كان الجاحظ في عصره بمثابة الناقد التحليلي لظواهر ذلك العصر وتجسيدها في نماذج إنسانية عايشها، وتفهم ظروفها ومشاكلها وتصرفاتها، ومن تلك الظواهر البخل، فقد كثر البخلاء في عصر الجاحظ وامتلكوا الثروات، وتحكموا بأموالهم في المجتمع، فغاض الجاحظ في باطن البخيل، وعرف سريرته، وحلّل نفسيّته، فأفرد له كتابًا خاصًا وهو كتاب (البخلاء) الذي يعالج موضوع البخل معالجةً نقدية اجتماعية أخلاقية، استهلّه بالحديث عن البخل وأصحابه، ثم تضمن كتابه مجموعة من الأحاديث والقصص والنوادر ساقها إلى عدد من الأشخاص المعروفين، وهي تتعلق ببخل أهل خراسان عامةً، ومرو خاصةً، حيث استعمله الجاحظ لغايات سياسية، استخدمها للدفاع عن الأمة العربية أمام الهجمة الشعوبية التي واجهتها، ومن هنا كانت سخرياته في أهل مرو وهي مدينة في خراسان، فلننظر إليه وهو يصوّر بخل أهل هذه المدينة يقول: (لم أر الديك في بلدةٍ قط إلاّ وهو لاقط يأخذ الحبة بمنقاره، ثم يلقطها قدام الدجاجة، إلاّ ديكة مرو، فإنّي رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب! قال: فعلِمتُ أنّ بخلهم شيء من طبع البلاد وفي جواهر الماء، ومن ثم عمّ جميع حيوانهم).البخلاء، للجاحظ، ص27.

ولم يقف الجاحظ عند نقد عالم البخل والبخلاء، بل انطلق ليتخذ من نقد بعض أنماط السلوك الاجتماعي الأخرى مجالاً للتوسع في عالم أدب الهزل، ومن هنا اتخذ الجاحظ من التطفّل مادة ثرية للهزأ والتهكُّم؛ حيث تناول الطفيليين بالسخرية البارعة، ومن سخرياته فيهم قوله: (كان قاسم شديد الأكل شديد الخبط قدر المؤاكلة، وكان أسخى الناس على طعام غيره، وأبخل الناس على طعام نفسه، وكان يعمل على رجل لم يسمع بالحشمة ولا بالتجمّل قط، فكان لا يرضى بسوء أدبه على طعام ثُمامة، حتّى يجر معه ابنه إبراهيم، فكان إذا تقابلا على خوان ثمامة لم يكن لأحد على أيمانهما وشمائلهما حظ في الطيبات).البخلاء، الجاحظ، ص198.

ISSN: 2706-9087

ولم ينس أن ينقد سلوك الإنسان المنافق؛ لأنّ هذا الإنسان المرائي مداح كذاب يظهر خلاف ما يبطن، فيأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، ومن ثم كان محلاً للسخرية، وقد ذكر الجاحظ عن قاسم التمار: (حيث أقبل على أصحابٍ له وهم يشربون النبيذ، وذلك بعد العصر بساعة، فقال لبعضهم: قم صلّ فاتتك الصلاة! فأمسك عنه ساعة ثم قال لآخر: قم صلِّ، ويلك فقد ذهب الوقت، لما أكثر عليهم في ذلك وهو جالس لا يقوم يصلّي، قال له واحد منهم: أنت لم لا تُصلي؟ فأقبل عليه فقال: ليس والله تعرفون أصلّي في هذا، قلت: وأي شيء أصلّك، قال: لا أصلّي؛ لأنّ هذه المغرب قد جاءت).البيان والتبيين، للجاحظ، ج12/4.

وقد يلجأ بعض الناس إلى الحيلة والخداع لتحقيق ما يهدفون إليه متخذين شتّى الوسائل والأساليب، ممّا جعل الجاحظ يعرض صورًا لهم كاشفًا أقنعتهم في أسلوبٍ مرح ساخر، وفنية عذبة رائعة يقول في قصة الكندي: (كان الكندي لا يزال يقول للساكن، وربما يقال للجار أنّ في الدار امرأة بها حمل والوحم ربما أسقطت من ريح القدر الطيبة، فإذا طبختم فردوا شهوتها، ولو بغرفة أو لعقة، فإنّ النّفس يردها اليسير، فإن لم تفعل ذلك بعد إعلامي إيّاك فكفّارتك، إن أسقطت غرة: عبد أو أمة، ألزمت ذلك نفسك أم أبيت، قال: فكان ربما يوافي إلى منزله من قصاع السكّان والجيران ما يكفيه الأيام، وكان أكثرهم يفطن ويتغافل).البخلاء، الجاحظ، ص88.

إنّ هذا العرض يمثل إدراكًا شموليًا للظاهرة الإنسانية التي تتسع لتضع الجاحظ في طليعة الأدباء الذين جالسوا في الموضوعات الثقافية المتنوعة يغذُّون عقولهم وقرّاءهم بألوان من المعرفة، ليصوّرونها بأقلامهم الفنية، وتلك سمة فنية ميّزته؛ لأنّه أديب عاش في حرية شملت حرية الرأي والفكر، وإن كنّا ندعي عليه أنَّه قد يتجاوز الحد في فكاهاته وهزله عن المألوف، وينزل به الإتيان بفاحش القول وغير ذلك من (الأدب المكشوف).يراجع: البيان والتبيين، الجاحظ، ج6/4 – 15.

ولعلّنا نرى في ذلك صورة من صور التحرر البارز الذي عايشه الجاحظ حتى إنّنا نجد صدى هذا الأمر في كثير من المواضع داخل مصنفاته.

الفصل الرابع

السُّخرية في أدب الجاحظ

معنى السُّخرية:

(السخرية، الاستهزاء، والسخرة الضحكة، وسخر منه وبه، ضحك منه وهزء منه وبه).لسان العرب، ج523/4، 524 – مادة: سَخِر.

وإذا كان القصد من السخرية الاحتقار والاستصغار من غير سببٍ ظاهر، فهي منهيٌّ عنها بنص القرآن الكريم، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ**). سورة الحجرات، الآية (11)

ISSN: 2706-9087

لما فيه من الاستهانة بأقدار النّاس وكرامتهم؛ ولأنّه يجرح شعور المستهان ويؤذيه، والسُّخرية تبدو قديمة قدم الإنسان؛ لأنّها قد تكون ترويحًا عن النفس، أو تسرية عن القلب، أو استنكار لما يقع، أو هزؤًا، أو تنذرًا بالخصم، كما جاء في قصة نوح – عليه السلامَ- حيث أمر بصنع السفينة؛ ليجمع فيها من كل زوجين اثنين، وأهله وقرابته المؤمنين، ومن اتّبعه وآمن به، فهزأ به قومه وضحكوا، وقالوا: يا نوح، قد كنت بالأمس نبيًّا فأصبحت اليوم نجّارًا !! فكان جواب نوح حاملاً الوعيد، والتهديد عاقبة لتكذيبهم واستهزائهم، وقد عبّر عن ذلك – سبحانه وتعالى – بقوله: **(وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)**. سورة هود، الآية (38)

العيوب المظهرية:

نقد العيوب الجسمية والمظهرية من أهم موضوعات السخرية وأكثرها رواجًا لدى الكُتّاب، وتبدو تلك العيوب – أكثر ما تبدو – في الوجه (فقد يكون كبير الأنف، واسع الفم، أو صغير العينين، أصم الأذنين، أو بارز الأسنان، غليظ الشفتين، وقد لا تتناسق هذه الأعضاء، وكأنّها في عراك، وكأنّها وضعت في غير أماكنها، فيبدو الوجه تائه المعالم، مستهجن القسمات).السخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم، ص144.

ومن هذه الأنماط نماذج عديدة ملأت مصنفات الجاحظ، فكتب عنها ونقلها إلينا وسخر منها، ويقول: (قال شداد الحارثي ويُكنّى أبا عبيد الله، قلت لأمةٍ سوداء بالبادية: لمن أنتِ يا سوداء؟ قالت: لسيد الحضر يا أصلع، قال: قلت لها: أولستِ بسوداء؟ قالت: أولستَ بأصلع، قلت ما أغضبك من الحق، قالت: الحق أغضبك، لا تسبب حتى ترهب ولأن تتركه أمثل).البيان والتبيين، للجاحظ، ج78/2.

قال إبراهيم النخعي لسليمان الأعمش: وأراد أن يماشيه: أنّ الناس إذا رأونا معًا، قالوا: أعمش وأعور، قال: وما عليك أن يأثموا وتؤجر؟ قال: وما علينا أن يسلموا وتسلم.البيان والتبيين، الجاحظ، ج78/2.

ويقول: ساخرًا من هيئة علي الأسواري، وهو يأكل على لسان الحارثي (وكان إذا أكل ذهب عقله، وجحظت عيناه، وسكر، وسدر، وانبهر، وتربد وجهه وعصب، ولم يسمع ولم يبصر).البخلاء، للجاحظ، ص86 – 87.

ولا يفوت الجاحظ أن يتندّر ويتفكّه ويسخر حتى من نفسه، ومن هيئته، وحركته، وسلوكه في بعض المواقف؛ حيث قال عن نفسه: (ذات مرة أنّه وصف للخليفة المتوكل أحد أولاده، فلمّا رأى الخليفة صورته استبشعها فصرفه).أمراء البيان، محمد كرد علي، ص458.

ولم ينج المعلمون من سخريات الجاحظ اللاذعة، وتهكّماته المؤلمة، فقد قال: (أحمق من معلم كتاب).البيان والتبيين، للجاحظ، ج248/1.

وقال ساخرًا: (قلت لمعلم: لم تضرب غلمانك من غير جرم؟ قال: جرمهم أعظم الإجرام، يدعون لي أن أحُجّ وإن حججتُ تفرّقوا في المكتب، فمتى أحج؟ أنا مجنون)السخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم، ج75/1.

ISSN: 2706-9087

ويمضي في سخريته من المعلمين قائلاً: (من أعجب ما رأيتُ معلم في الكوفة، وهو شيخ جالس ناحية عن الصبيان، يبكي، فقلت له: يا عم، ممّا تبكي؟ فقال: سرق الصبيان خبزي)، ففي هذا الموقف يقر الجاحظ بسذاجة المعلمين، وإعدادهم من الحمقى الذين يثيرون الاستهزاء والتهكُّم من حولهم.

وقد حكى الجاحظ أنّه ألّف كتابًا في نوادر المعلمين وما هم عليه، ثم رجع عن ذلك وعزم على تقطيع الكتاب فقال: (دخلت يومًا مدينة، فوجدت فيها معلمًا في هيئة حسنة، فجلستُ عنده وسلّمتُ عليه وبحثه في القرآن، والفقه، والنحو، وعلم المعقول، وأشعار العرب، فإذا هو كامل الآداب فقلت: هذا والله ممّا يقوي عزمي على تقطيع الكتاب، وكنت أختلف إليه وأزوره، فجئت يومًا لزيارته فإذا الكتاب مغلق، ولم أجده فسألتُ عنه، قيل: مات له ميتًا فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء، وذهب إلى بيته لتعزيته والتخفيف عنه فقلت: له بعد السلام: عظّم الله أجرك، كل نفس ذائقة الموت، فعليك بالصبر، ثم سألته ما هو منك؟ قال: حبيبتي، فقلت في نفسي: هذا أول المناحس! فقلت له: سبحان الله! النساء كثر وستجد غيرها، فقال: أتظنُّ أنّي رأيتُها؟ فقلت وهذه منحسة أخرى! فقال: وكيف عشقت من لم ترى؟ فقال: أعلم أني كنت جالسًا في هذا المكان وأنا أنظر من الطارق، فإذا رأيت رجلاً عليه برد يقول:

يَا أُمَّ عَمْرُو جَزَاكِ اللَّهُ مَكْرَمَةً ** رُدِّي عَلَيَّ فُؤَادِي أَيْنَما كَانَا

لاَ تَأْخُذِينَ فُؤَادِي تَلْعَبِينَ بِهِ ** فَكَيْفَ يَلْعَبُ بِالإِنْسانِ إِنْسَانا

فقلت في نفسي: لولا أنّ أم عمر هذه ما في الدنيا أحسن منها، ما قيل فيها هذا الشعر، فعشقتها، فلمّا كان من يومين مرّ ذلك الرجل بعينه وهو يقول:

لَقَدْ ذَهَبَ الحِمَارُ بِأُمِّ عمرو ** فَلاَ رَجَعَتْ وَلاَ رَجَعَ الحِمَارُ

فقلت: (إنّها ماتت، فحزنت عليها وأغلقتُ المكتب وجلستُ في الدار فقلت: يا هذا!! إنّي كنت ألّفتُ كتابًا في نوادركم – معشر المعلمين – وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه، الآن قد قوّيتُ عزمي على إبقاءه وأول ما أبدأ أبدأ بِكَ – إن شاء الله تعالى).السخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم، ص177.

فخيبة الأمل – لدى الجاحظ – من المعلمين اكتملت عند هذا المعلم، وما هو عليه من العلم، والفقه، والأدب، وما بجانبه من الحمق والسّفاهة، ممّا جعله يصرُّ على إبقاء كتابه في نوادرهم، ونحن نرى أنّ الجاحظ برغم استعماله في المعلمين خطل الجهلاء وتهكّم المقتدرين، فإنّنا نجد في مصنفاته الكثير من فضل المعلمين، وخاصةً في رسائله، فتناوله بشكر وتفضيل، وعرض ما هم عليه من علمٍ وفقه، وأشار إلى أنّ أكثر العظماء كانوا المعلمين، وإنّ لكل شيءٍ معلمًا، وبذلك يستحق التفضيل والتقدير، ومثلما سخر الجاحظ من المعلمين فإنّه تهكّم في الوقت ذاته من بعض المفسّرين ودعواهم الباطلة وتفسيراتهم البعيدة كل البعد عن المنطق، فقد نقل (إنّ بعض أصحاب التفسير زعموا أنّ الله – تعالى- قد عاقب الحية حين أدخلت إبليس في جوفها حتى كلّم (آدم) على لسانها بعشر خصالٍ منها: شق اللسان، فقالوا: لذلك ترى الحية أبدًا إذا ضُربت للقتل كيف تخرج لسانها لتُري الظالم عقوبة الله – تعالى- لها كأنها تسترحم، وصاحب هذا التفسير لم يقل ذلك إلاّ لحيّة كانت عنده تتكلم).

ISSN: 2706-9087

يراجع: الحيوان، للجاحظ، ج74/6، 75.

إنّ مثل هذه التفسيرات العجيبة –كما يسميها الجاحظ – تثير الضحك لما تحويه من منطق غريب وتحليل ساذج للأشياء، فضلاً عن ذلك فهي تتنافى مع التفسيرات المنطقية المثبتة بالأدلة، وكانت الخرافات والأباطيل واللّعب بعقول الناس مصدرًا من مصادر السُّخرية، وموضوعًا جيدًا من موضوعاتها، وللجاحظ في كتاب الحيوان صورة رائعة يسخر فيها ممّن يعتقدون باتصالهم بالجن واستهزائهم لهم.أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، عبد الحكيم بليغ، ص28.

وقال في بعض ما قاله بهذا الصدد: (والناس في هذا الضرب من الدعوى علماء السوء يظهرون تجويزها وتحقيقها كالذين يدّعون من أولاد السّعالي من الناس كما ذكروا عن عمرو بن يربوع، وكما يروي زيد النحويّ عن السّعلاة التي أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم، فلمّا رأت بَرقًا يلمع من شق بلاد السّعالي حنّت وطارت إليهم، فقال ثابت بن جابر:

أَتُوا نَارِي فَقُلْتُ: مَنُون أنْتُم ** فَقَالوا الجِنّ فَقُلْتُ: عِمُوا ظَلاَما

فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهم ** زَعِيمُ نَحْسَدُ الإِنْس الطَّعَاما

ولم أعب الراوية، إنّما عِبتُ الإيمان بها والتوكيد لمعانيها).

الحيوان، الجاحظ، ج185/1، 186.

فإتّباع مثل هذه الخرافات وتصديقها يكون عند الناس السُذّج والسطحيين؛ لعدم امتلاكهم الثقافة الواسعة وعدم اعتمادهم العلم والوعي وسيلة للتواصل الحضاري، ولم يقف الإيمان بالخرافات والأباطيل عند النّاس السطحيين فقط؛ بل تعدّى إلى بعض الفلاسفة والعلماء، وإذا سخر الجاحظ من بعض الفلاسفة بهذا الصدد (زعم صاحب المنطق – أرسطو – أنّه ظهرت حية لها رأسان، فسألت إعرابيًا فزعم أنّ ذلك حق، فقلت له من أيّ جهة الرأسين تسعى؟ ومن أيهما تأكل وتعض؟ فقال: فأمّا السّعي فلا تسعى، لكنّها تسعى إلى حاجتها بالتقلب، وأمّا الأكل فإنّها تتعشى بفم وتتغذى بفم، وأمّا العض فإنّها تعض برأسيها فإذا به أكذب البرية، وهذه الأحاديث كلها ممّا يزيد في الرُّعب منها في تهويل أمرها).الحيوان، للجاحظ، ج348/4.

ولم ينس الجاحظ أن يسخر من بعض الشخصيات، فحفلت كُتبه ورسائله بسخرياتٍ شتّى، خصّصها لبعض الأشخاص، ممّا يؤكد صدق نزعته الفلسفية الساخرة في التهكُّم، ولعلّ رسالة (التربيع والتدوير) وما تحتويه ما يؤكد ذلك، فهي موجهة إلى أحمد عبد الوهاب الذي تهكّم منه الجاحظ (بالرغم من أنّه لم يكن بخيلاً، ولكن كان نمطًا آخر من العامة والأدعياء الذين منيت أخلاقهم بالفساد، وخلقتهم بالتشويه، فانعكس هذا على حياتهم نوعًا من الشذوذ والإدّعاء الباطل).

أدب المعتزلة، عبد الحكيم بليغ، ص278.

وقد صبّ الجاحظ في هذه الرسالة أكثر سخرياته على ابن عبد الوهاب، في تكوينه الجسماني، فشوّه شكله وعبث بتفاصيله، وأبطل هندسته، فإذا هو كره، وإذا هو دكان ورحى طحّان، وإذا هو مربع مدور قصير عظيم الفخذ، جعد

ISSN: 2706-9087

الأطراف، مجتمع للمتناقضات، كما هزأ بعقله، وعلمه، وسلوكه، وفعله، وقوله، وكبر سنّه، فقال: (ولربّما عذرتك ولان جانبي لك، فأقول خرق الشيخ إذا كان جادًا وعبث إذا كان هازلاً، وقد يجعل الخرف إلى أحدث منك سنًّا ويبطئ من أطول منك عمرًا؛ بل من هذا الذي يعد من السنيين ما تعد وبلغ من الكبر ما بلغ).الرسائل، للجاحظ، ص442.

والجاحظ حين يسخر من صاحبه – هنا – لا يكيد له الشتم المباشر ولا الانتقاص الواضح على نحو ما كان يفعل الهجّاءون في الأدب العربي، ولكنّه يصطنع ذلك المنهج القوي في التهكّم، ويستخدم طريقة غير مباشرة في إبراز العيوب، فهو يهجوه هجاءًا مغلّفًا بثياب المديح، فقد كان صاحبه أحمد بن عبد الوهاب قصيرًا مفرط القصر، ولإحساسه بالنقص في هذه الناحية كان يدّعي أنّ العرض مقدم على الطول، ويحتجّ لهذا من القرآن وأقوال الشعراء، فيعرض الجاحظ هذا، ثم ينهال عليه تهكُّمًا بتلك الطريقة التي تشبه أن تكون مدحًا، فهو يقول: (ولم أزل أراك تقدم العرض على الطول، وتزعم أنّ الأرض لم توصف بالعرض دون الطول إلاّ لفضيلة العرض، وكذلك قول الشعراء ووصف العلماء، قال الطرماح:

كَأَنَّ بِلاَدَ اللَّهِ وَهْيَ عَرِيضَةٌ ** عَلَى الخَائِفِ المَذْعُورِ كُفَّةُ حَابِلُ

ولم يقل كأنّ بلاد الله وهي طويلة، وقال آخر: وفي الأرض للمرء العريضة مذهب، ولم يقل: الطويلة ...، ولو لم يكن فيك من الرضا والتسليم والقناعة، والإخلاص إلاّ أنّكَ ترى أنّ ما عند الله خير لك ممّا عند الناس، وأنّ الطول الخفي أحبّ إليكَ من الطول الظاهر).الرسائل، للجاحظ، ص 438، 439.

فالجاحظ – كما نرى – يلعب بصاحبه لعبًا، ويكشف مركبات النقص عنده بتلك الطريقة الفذّة التي تمتزج فيها الدُّعابة بالسُّخرية اللاّذعة (ولأنّ الجاحظ كان يتهكّم بروحٍ عالية لا يسيطر عليها ضعف النّفس أو الكراهية والحقد، لم تكن رسالته كلّها سخرية أو تهكّما؛ بل كان يمزج ذلك بطائفة من موضوعات العلوم المختلفة حتى لكأنّها دائرة المعارف).

أدب المعتزلة، عبد الحكيم بليغ، ص280.

بالإضافة إلى ذلك نجدها حوت جميع مظاهر السخرية الموجودة في المجتمع من خلال عرض المتناقضات في شكل أحمد عبد الوهاب، ممّا يشير رمزيًا إلى المتناقضات التي تعمّ المجتمع آنذاك، بذلك تعتبر رسالة التربيع والتدوير أول أنموذج إنساني في الأدب العربي، ارتقى بفنّ الهزل وما حواه من تهكُّم وهجاء رقّت به المدينة، ولطّفته الحضارة.

بعد البحث والدراسة تخلص الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. يعد الجاحظ نمطًا جديدًا في النثر الفني العربي في أسلوبه، وأفكاره، وألفاظه، ومعانيه، ومنهجه، وموضوعاته، ويعد هذا نقطة تحول في تطور النثر العربي.
2. حفلت كتابات الجاحظ بالتفاصيل النابضة بالحياة والتعليقات الشخصية المفيدة التي تشكل سجلاً عنيفًا متنوعًا لحياة المجتمع العباسي، علمنا بفضله كيف كانوا يعيشون في بغداد والبصرة، وما كانت مواضيع أحاديثهم، وكيف كانت أوضاع كل حزب وكل فرقة.

ISSN: 2706-9087

3. تناثر الهزل في كتبه، ولكنّه أفرد له كتابًا رائعًا يعد مادة ثرية معطاءة للتمثيل المسرحي الهازل، وهو كتاب البخلاء الذي زخر باللوحات التصويرية الفنية النادرة.

4. من العوامل التي جعلت الجاحظ أديبًا هازلاً طبيعته المرحة، وقبح هيئته وبيئته العباسية، وثقافته الواسعة، إلى جانب أصله وتأثير الجانب الوراثي فيه وروحه الفنية.

5. مذهب الجاحظ في الضحك والإضحاك يقوم على الفن الخالص الذي يمزج الحقيقة الجافة بالهزل والمرح، ودفاعه عن الضحك لم يكن انفلاتًا من الجد، فقد كان يرى أنّ للمزح مقدارًا وأنّ للمرح حدّا لا ينبغي تجاوزهما.

6. ميّزت الواقعية أدبه؛ حيث اتخذ من الحياة والمجتمع والنفس البشرية موضوعًا لأدبه، أعطانا بذلك فكرة واضحة على عصره ومجتمعه وعاداته وتقاليده.

7. حرية الجاحظ الأدبية جعلته يخطو خطوات جديدة نحو التعبير في جميع الموضوعات وظهر ما يعرف (بالأدب المكشوف).

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. أبو حيان التوحيدي وموقفه من أدب الهزل، د. جمال عبد الحميد السوداني، مجلة كلية اللغات، العدد (3)، كانون الثاني، 1996م.

2. أدب العرب في صدر عصر الإسلام، د. حسين إبراهيم الحاج، الجامعة المفتوحة، 1993م.

3. أدب المعتزلة حتى نهاية القرن الرابع الهجري، تأليف: د. عبد الحكيم بليغ، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، (د.ت).

4. أسس الصحة النفسية، د. عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، 1952م.

5. أمراء البيان، محمد كرد علي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1937م.

6. البخلاء، للجاحظ، تحقيق: يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م.

7. البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، (د.ت).

8. الحيوان، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1938م.

9. ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، (د.ت).

ISSN: 2706-9087

10.ديوان الأخطل، شرح: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 1994م.

11.ديوان الأعشى، شرح: ميمون بن قيس، بيروت، الطبعة الثانية، 1994م.

12.ديوان امرئ القيس، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل الجديد، بيروت، 1994م.

13.ديوان جرير، شرح: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

14.ديوان الحطيئة، شرح: أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، 1998م.

15.ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح محمد العناني، لندن، 1985م.

16.الرسائل، للجاحظ، تحقيق: علي أبو ملحم، بيروت، الطبعة الثالثة، 1995م.

17.السخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم محمد، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (د.ت).

18.الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م.

19.العقد الفريد، لابن عبد ربه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1942م.

20.علم النفس، فاخر عقيل، مطبعة الجامعة السورية، 1951م.

21.في علم النفس، للأساتذة: حامد عبد القادر، محمد عطية الأبراشي، ظهر سعيد.

22.لسان العرب، للإمام العلاّمة ابن منظور، درا الحديث، القاهرة.

23.معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: أحمد الرفاعي، دار المأمون، القاهرة.

24.منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، 1966م.